منشورات
المسيرة

روائع القصص

اميلي
برونيتي

مرتفعات ويذرنغ



الطبعة الأولى
١٤٠٠ هجرية
١٩٨٠ ميلادية

نقلها إلى العربية قسم الدراسات والترجمة
بدار المسيرة - بيروت، لبنان

هذه السلسلة ...

يسرّنا أن نقدّم باعتزاز إلى الناشئة في سائر انحاء الوطن العربي، أول طبعة عربية لمجموعة كتب « سلسلة أروع القصص المصورة » (التي تصدرها « منشورات المسيرة »). إنّ هذه السلسلة الجديدة كل الجدّة، قد أعدّها فنانون ورسّامون من مختلف الجنسيات العالمية، وتولى كتابة نصوصها المبسّطة كتّاب متخصصون، وقام براجعتها مستشارون قديرون.

وقد اقترن تطوير هذه السلسلة بحقائق تربوية عديدة. منها أنّ أي شيء – ضمن حدود اللياقة – يطالعه الفتيان والفتيات أو يتوقون إلى مطالعته يكون في حد ذاته أداة تربوية عملية. وهذا ما أدركه رجال التربية منذ أمدٍ طويل، ولطالما طالبوا بمطبوعات تحقق هذه الغاية. ومع أنّ سلاسل الكتب المصورة يُكتب لها النجاح والشهرة عادة، إلاّ أنها لم تُستغلّ بعد على نحوٍ عام في شتى الحقول التربوية. ومن هذا الوعي انبثقت مجموعة « سلسلة أروع القصص المصورة ».

ما من شك في أنّ الرسوم تغري الطلاب بالمطالعة الفعلية، كما تعزّز ميولهم لقراءة الكلمات المطبوعة، إذ إنّ الجمع بين الكلمات والصور يعين الناشئة على فهم الموضوعات فهماً أكبر وأشمل. والفهم النابع من المطالعة يثير الرغبة في الاستزادة من المطالعة والمعرفة.

ليست المطالعة غاية في حد ذاتها، فالناشئة يندفعون إلى مطالعة المادة التي تروي ظمأهم للمعرفة ولفهم العالم المحيط بهم. وسلسلتنا هذه تقدّم للناشئة مجموعة مختارة من روائع القصص وكبار الكتّاب والشخصيات المعروفة في الأدب الإنكليزي. ولعلّها تحفزهم فيما بعد لمطالعة الطبعات الأصلية غير المبسّطة عندما تتوافر لهم القدرة على مطالعة مثل هذا النوع

من الكتب. والأهم من ذلك كلّه هو أنّ مطالعة كتب «سلسلة أروع القصص المصورة» سيساعد الطلاب على بلوغ مستوى فكري يزخر بالمعلومات والصور والأسماء والأفكار المفيدة. ولنفترض مثلاً أنّ أحد الفتيان يشاهد برنامجاً تلفزيونياً يصوّر قصة «مرتفعات ويذرنغ». إنه بالطبع سوف يستمتع بذلك البرنامج التلفزيوني على نحوٍ أفضل وأجدى وأشمل إذا كان قد طالع القصة المذكورة ضمن «سلسلة أروع القصص المصورة».

إننا على يقين من أنك سوف ترحّب بهذه السلسلة المصورة وتشاركنا في تحمُّسنا لها بعد أن تعكف على مطالعة بعض كتبها.

(الناشر)



المُؤلِّفَة

إميلي برونتي

(١٨١٨ - ١٨٤٨)

وُلدت الروائية الإنكليزية إميلي برونتي عام ١٨١٨ في ثورنتون من يوركشاير بإنكلترا. وماتت أمها في وقت لم تتجاوز فيه إميلي الثالثة من عمرها. وعندما حان وقت تعلّمها أرسلها أبوها إلى عدة مدارس داخلية.

لقد امتلأ صدر إميلي بالكراهية الشديدة للأوامر والأنظمة الصعبة في سنّ مبكّرة، ولعلّ ذلك جاء بسبب حياتها في المدارس الداخلية وصرامة الكبار الذين عرفتهم.

كانت إميلي برونتي في طفولتها خجولةً للغاية وشديدة الحساسية. وما كانت تطيق أن يعرف أحد ما يدور في رأسها أو ما تجيش به مشاعرها. ولهذا كانت كتومةً. لا تعلن عن أحاسيسها وعواطفها. ثم إنها راحت تكتب الشعر وتخفي كلّ ما تكتبه. وكانت أختها شارلوت (مؤلّفة رواية «جين آير») هي التي اكتشفت تلك الأشعار بعدما بلغت إميلي السابعة والعشرين.

وبتشجيع من شارلوت أقدمت إميلي على كتابة روايتها الوحيدة «مرتفعات ويذرنغ». وفيها أطلقت العنان لعواطفها التي حاولت عدم البوح بها من قبل. وقد نشرت القصة باسم مستعار هو «آليس بل». إذ كانت لا تزال خجولة.

إن تلك الرواية الغريبة بما فيها من حُبّ جامح وغيرة متأججة رفعت ذكر إميلي في الأدب الإنكليزي. ولكنها ماتت قبل أن تنعم طويلاً بهذا النجاح الأخّاذ. إذ انتابها المرض يوم وفاة شقيقها الوحيد. ولم تمض سنة حتى طواها الثرى عام ١٨٤٨.

اميلي برونتي

مرتفعات ويذرنغ



شخصيات القصة





حوالَي العام ١٨٠٠ جلس سَيّدٌ كان قد استأجر منزلاً في ناحيةٍ منعزلةٍ بإنكلترا ليكتب مذكراته. كان اسم هذا الرجل « لوك وود ».
١٨٠١ قرية ثراشكروس
لقد عُدتُ لتوّي من زيارة قمتُ بها لمالك المنزل - الذي استأجرته - وجاري الوحيد السيد هيثكليف وذلك في منزله بمرتفعات ويذرنغ
يُمكنُ للإنسان أن يتصور قوة الريح الآتية من الشمال والتي تهبُّ على المرتفعات لدى مشاهدته تمايل أشجار التّنوب الصغيرة...
التقيت المالك على بوابة المنزل.
سيّد هيث كليف.. أنا السيد لوك وود المتأجر الجديد.
تفضَّل ادخل



جوزيف خُذ حصان السيد لوك وود.. ثُمَّ أحضر لنا بعض الشراب
وقفت خارج المدخل الرئيسي لألقي نظرة على بعض المنحوتات
كنتُ أرغب في أن أطلب سرداً قصيراً عن تاريخ المنزل ولكن المالك طلبَ مني الدخول في الحال.
كانت غرفة الجلوس التي دخلناها مليئة بالكلاب.. « وهيث كليف » الذي كان قد غادر الغرفة ليلحق بجوزيف إلى حجرة القبو. لم يستطع منع الكلاب من مهاجمتي.
هيث كليف!
هيث كليف!
النجدة!


سارعت امرأة لإنقاذي من المطبخ.. حَملَتْ مقلاة في يدها.
ابتعدوا! الآن! قفوا! ابتعدوا!
يا للشيطان! ما المسألة؟
يا للشيطان حقاً! كأنما تركتَ غريباً مع قطيعٍ من النمور!
إنها لا تُزعِجُ الأشخاص الذين لا يلمون شيئاً.. هل تشرب كأساً من النبيذ؟
لا.. شُكراً
تَعالَ - تَعالَ. خذ قليلاً من الشراب... الضيوف قلائل لدرجة أنني لا أعرف كيف استقبلهم.. على شرفك يا سيدي!
حسناً أيها السيد... في صحتك أيضاً!
شعرنا كلانا بانتعاش وبدأنا حديثاً قصيراً.. بعد بُرهة أعلمته بأنني قد أزورد ثانية في اليوم التالي.. لاحظتُ عدم انشراحه وقررت الذهاب على أي حال.


كان اليوم التالي - بعد الظهر - باردا يكتنفه الضباب.. بعد مسيرة أربعة أميال وصلت بوابة منزل هيث كليف حيث بدأ الثلج يتساقط.
همْ! البوابة مقفلة.
على قمة تلك التلّة كانت الريح جليديّة.. تسلقت البوابة وقفزت فوقها راكضاً نحو المدخل حيث طرقته بعنف.
كان الجوابُ من الداخل نباح الكلاب.. بعدئذٍ أطل جوزيف برأسه من نافذة مخزن الحبوب..
ماذا تريد؟ السيد في الحظيرة إذا أردت أن تتحدث إليه.
ألا يوجد في الداخل من يفتح الباب؟
لا يُوجد أحد غير السيدة! وإنها لن تفتح ولو ملأت الدنيا صراخاً حتى الليل!
لماذا؟ ألا تستطيع إعلامها من أكون؟

٦


.. واشتد تساقط الثلج.. عندئذ جاء شاب من الحظيرة.
تعال. والحق بي.
بعد ان اجتزنا بيت الغسيل وساحة مُبلَّطة وصلنا الى الغرفة الواسعة البهيجة حيث كنت في اليوم السابق.. سُررت لرؤيتي السيدة.
طقس جاف! لقد تحمّلتُ الكثير لأستطيع أن أجعل أحداً يسمع صرير الباب.. سيدة هيث كليف.
اجلس - سيكون هنا في الحال.
وضع الشاب سترة بالية على كتفيه ووقف أمام النار يتدفأ.. أما السيدة الشابة فقد حملقت بي ببرودة.. لم أعرف ماذا أقول.
بالحقيقة، إنه طقس جاف في الخارج
كان الأجدر بك ألاّ تخرج. هل أنت مدعو؟


بعد مضي خمس دقائق جاء هيث كليف ووقف أمام النار.
هل ترى، لقد جئت كما وعدت!
إني لأعجب لماذا اخترت السير وسط عاصفة ثلجية معرّضاً نفسك لخطر الضياع وسط المستنقعات!
حتى أولئك الذين يعرفون هذه المستنقعات غالباً ما يُفقدون خلال أمسياتٍ كهذه..
ربما أستطيع أن آخذ دليلاً من بين رجالك
يمكنه أن يمكث حتى الصباح في منزلي.. هل تستطيع تأمين أحد الأشخاص؟
لا.. لا أستطيع
فجأة استدار الشاب وسدّد نظره نحو السيدة
هل ستحضّرين الشاي؟ حضّريه ألا تفعلين؟
كان صوت هيث كليف غاضباً جداً.. حتى أنه أرعبني، ويبدو أنه يملك مزاجاً سيئاً جداً.


عندما أصبح الشاي جاهزاً، تحدّثَ إلي...
تَجمعنا جميعاً حول الطاولة وأكلنا بكون.. بالتأكيد لم يكونوا ليجلسوا كل يوم بتجهّم هكذا! فإذا كنت سبب المشكلة فيجب عليَّ تخفيف الوضع..
والآن يا سيدي.. إقترب بمقعدك مني.
العديد من الناس لا يُسَرّون في مكان كهذا؛ يا سيد هيث كليف. مع ذلك أتجرّأ في قول هذا.. وبوجود سيدتك هنا كي تقف بجانبك.
سيدتي! أين هي؟
السيدة هيث كليف أعني زوجتك.
زوجتي! كيف يمكن وجود روحها هنا بيننا جدها مفقود؟
تطلّعت نحو الرجل الشاب كي يصلح لي خطإي.
ارتكبت خطأً.. لم تكن هذه زوجة هيث كليف.. ربما كانت زوجة المهرج الجالس عن جانبي ويشرب الشاي من الصحن ويأكل بيدين وسختين.. هو دون شك هيث كليف الصغير.
آه.. إني أرى... أنك زوج السيدة الجميلة!
سيدي.. إنك سيء الحظ بتصوراتك.


لا أحد منا يمتلك هذه السيدة الجميلة.. إنها زوجة ابني.. وقد مات زوجها.
وهذا الشاب هو؟
ليس ابني، بالتأكيد
اسمي هيرتون ايرن شو.. الافضل لك أن تحترمه!
هل أظهرت عدم الاحترام!
انتهت وجبة الأكل.. ذهبت للنافذة حيث حلّ الظلام باكراً...
كان الجو والتلال غارقين في دوامة ريح ثلجية.. لن أستطيع معرفة طريق العودة إلى منزلي دون دليل.
إذا لم تسعفني بدليل فإني سأضطر للبقاء هنا.
أنا لا أحتفظ بغرفة للزوار، فإذا بقيت عليك بمشاركة هيرتون أو جوزيف فراشهما.
بإمكاني النوم على كرسي في هذه الغرفة.
لا.. لا.. لا أعطي الحرية لغريب في هذا المكان بينما أنا خارج للحراسة!
لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، فاندفعت ماراً بمحاذاة هيث كليف وهرعت إلى الساحة.. كانت الظلمة شديدة حتى أنني لم أقدر على تبيّن البوابة...


جلس جوزيف على مقربة يحلب البقرات على ضوء قنديل.. أخذت القنديل منه.
سأعيدُ لك قنديلك غداً.
سيدي! سيدي! إنه يسرق القنديل!
عندما فتحت أقرب بوابة، هجم عليَّ كلبان ضخمان ورمياني أرضاً.
هيو غناشر! هيو ولف! امسكوه! امسكوه!
بالرغم من أن الكلبين لم يؤذياني. لكنهما لم يدعاني أقف على رجليّ. بينما أخذ هيث كليف يهزأ مني. أخذتُ أرتجف غضباً حتى أخذ أنفي ينزف دماً. في هذا الوقت ظهرت أمامنا مدبّرة المنزل « زيلا ».
حسناً.. ماذا بعد؟ هل علينا أن نقتل الناس على عتبة دارنا؟


تعال أيها الصبي. أشفيك من نزيف أنفك.
ورشقت رأسي بطاسٍ من ماء مثلج.
قادتني نحو المطبخ.. لحق بنا هيث كليف.. كنت مريضاً، مشدوهاً وفاقد الوعي تقريباً..
أعطه كوباً من الشراب
هنا أيها الصبي اشرب-وسرعان ما تتعافى.
عندما شعرت بتحسن قادتني « زيلا » إلى غرفة نوم في الطابق العلوي.
إخفِ شمعتك يا سيدي، وكن هادئاً.. لا أرى مانعاً من نومك هنا، لكن السيد لا يسمح باستعمال هذه الغرفة.
كان الفراش في خزانة قديمة.. ورفّ النافذة يستعمل كطاولة..
أسماء مكتوبة، مرة ومرتين وثلاثاً: كاترين إيرن شو».. كاترين هيث كليف».. كاترين لينتون»..



إلتقطتُ كتاباً، حملت الورقة البيضاء الأولى اسم «كاترين ايرن شو» وتاريخها يعود إلى خمس وعشرين سنة مضت
يومُ أحد مُرعب! كم كنت أتمنى أن يعود أبي... إن هيندلي يُعامل هيث كليف معاملة سيئة للغاية.
آه! لقد استعملت كل مكان أبيض لكتابة مذكراتها.
وتابعتُ القراءة...
لم أكن أظنُ حتى في الحُلم أن يدفعني وضعي هيندلي إلى البكاء... مسكين هو "هيثكليف"! هيندلي يدعوه بالمتشرد ولا يدعه يجلسُ معنا للحديث أو للطعام...
... هو يقول أنه يجب ألاّ نلعب أنا وهيثكليف معاً، ويهدده بالطرد من المنزل إذا خالفنا أوامره. وكان يلوم والدنا بسبب معاملته الطيبّة جداً لهيثكليف...
استلقيت على السرير ناعساً.
ووسط حلمي عرفت أين أنا.. سمعتُ الريح والثلج المتساقط وضربات الغصن المتجلد على النافذة.. يجب علي أن أوقف هذا الصوت الطارق!



خلال حلمي، نهضتُ وحاولت فتح النافذة.. لم ينفتح المقبض
حطمتُ بقبض يدي الزجاج ومددت ذراعي لأمسك بالغصن.
عندئذ شاهدت وجه طفلة بطلّ..
كاترين لينتون. لقد عدت إلى المنزل.. لقد ضللت طريقي عبر المستنقع!
بدلاً من ذلك أطبقت أصابعي على يد صغيرة يلفها صقيع الجليد! تملكني الرعب!
دعني أدخل! دعني أدخل!
من تكون أنت؟
وسط رعب كبير سحبت معصم الفتاة عبر الزجاج المحطم فسال دمها، وبقيت متمسكة بي وهي تصرخ..
كيف يمكنني ذلك! دعيني أخرج إذا أردت مني أن أدعك تدخلين!
دعني أدخل!


تراخت الأصابع.. سحبتُ يدي من خلال الفتحة المحطمة وبسرعة وضعت الكتب على شكل كومة سدّت الثقب، ثم سددت.. أذنيّ
ادهي من هنا لن أدعك تدخلين حتى لو بقيتِ تتوسلين عشرين عاماً!
لكن عندما أصغيتُ ثانية - سمعت الصرخة إياها..
عشرون سنة مضت.. ما زلت أصرخ منذ عشرين سنة!
كـان هنـاك صريرٌ ضعيـفٌ في الخـارج، وبعدها تحركت الكتب المتراكمة. وحاولتُ أن أنهض وأبتعد؛ لكني لم أستطع الحركة.
ابتعدي! ادهي! النجدة! النجدة!
فتحت الباب.. بداوجه هيث كليف أبيض كلون الحائط.. سقطت الشمعة التي كان يمسك بها من يده.
عندئـذ نهضت فوجدت بأني كنت أصرخ عالياً. وقع أقدام اقترب من باب غرفتي.. ومن الخارج سأل هيث كليف هامساً «هل هناك أحد؟»
إنه ضيفك فقط يا سيدي.. صرخت وأنا غارق في نوم حالم موحش.


أنا آسف.. لقـد أزعجتك.
من أرشدك إلى هـذه الغرفـة؟ سأطردهم من المنزل!
كانت الفتاة هي «زيلا» وتستحق كل ذلك.. ماذا كانت تريد؟ هل كانت ترغب في التأكد من أنّ المكان مسكون بالاشباح؟ حسناً إنه كذلك.. يعجّ بالاشباح!
ماذا تعني؟
تلك الطفلة، كاترين لينتون. إنها بالأحرى روح صغيرة شريرة! أعلمتني بأنها تجوب هذه الأرض منذ عشرين سنة.
كيف، كيف تجرؤ على الحديث معي هكذا.. تحت هذا السقف؟
ولما رأيته يتحرك هكذا بعمق، سردت عليه حلمي، غرق في فراشه وأخفى وجههُ...
حاولت بأن لا أظهر له بأني لاحظت ذلك
لم تحن الساعة الثالثة بعـد، سأسير نحو الساحة حتى طلوع النهار، وبعدئذ سأغادر المكان
لا.. ليس للساحة.. الكلاب سائبة.. اذهب حيث تشاء.. إلى غرفتي.. إلى أي مكان.. سأعود خلال دقيقتين.

غادرتُ الغرفة ثُمَّ توقفت لعدم معرفتي بالطريق أمامي... وشاهدت عندئذ صاحب المنزل يفتح النافذة والدموع تنفجر من عينيه..



بعد مضي عدّة ساعات، كنت أشعر بالتعب وعدم الراحة عندما أتت مدبّرة المنزل السيدة دين تحمل العشاء...




رمى بنفسه على كرسي وفتح حقيبته...
انظري إلى هنا يا زوجتي! يجب عليك ان تأخذي هذا كهبة من الله، بالرغم من سواده الآني كأنه من فعل الشيطان!
ماذا تعني؟ هل جُننتَ لتحضر طفلاً إلى المنزل؟
وجدته يكاد يموت جوعا في أحد شوارع ليفربول.. لا يستطيع تكلّم الانكليزية.. لا أحد يعرف من يخص، ولم أستطع تركه كما وجدته!
اغسليه، وأعطيه ثياباً نظيفة يا نللي.. ثم أرسليه لينام مع الاولاد..
اعطيناه اسم هيثكليف... اسماً كان لابن مات وهو طفل... بدأ صبياً هادئاً... وأصبح مع كاثي صديقين حميمين وأصبح المفضل لدى السيد.. لكن هيندلي كان يكرهه لأنه شعر بأنه سرق حب والده له وأصبح يسيء معاملته دائماً.
بعد موت السيدة إيرن شو بسنتين... هنا راعي الكنيسة يتحدث مع السيد إيرن شو...
أستطيع أن أعلّم الأولاد الصغار، ولكن أعتقد بأنك يجب أن ترسل هيندلي إلى الكلية.
سأقوم بذلك.. ولكني أخشى بأن هيندلي لا يساوي شيئاً، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً أينما ذهب...


بعد مضي ثلاث سنوات مات السيد إيرن شو... عاد هيندلي إلى المنزل وبرفقته زوج له... سرعان ما رافق ذلك تغيرات مهمة..
نللي... أنت وجوزيف عليكما أن تلازما محيط المطبخ الخلفي منذ الآن فصاعداً، وتتركا بقية المنزل للعائلة...
وهيث كليف سيأخذ مكانه بين الخدم.
هيندلي!
سيتوقف منذ الآن عن تلقي دروسه بواسطة راعي الكنيسة..وسيقوم بالعمل كأي شخص آخر في المزرعة.
في البداية... أخذ هيث كليف كل هذا بروح طيبة... وعلمته كاثي ما كانت قد تعلمته هي...
انظر إلى هذا يا هيث كليف..
كانت تعمل وتلعب معه في الحقول... وأصبحت تعيش وتمارس عمل البرية تماماً.



انتابني القلق لأنهما كليهما سوف ينشآن على قساوة الطبيعة... هيندلي لم يكن ليهتم بتصرفاتها ما دامت تعجبه... في بعض الأحيان كان يأمر بضرب «هيث كليف» وبأن تمنع وجبة أكل محددة عن كاترين... لكنهما كانا يهزآن منه...

كانت السماء تُمطر... وشعرت بقلق كبير ولم أستطع النوم،... أصغيتُ من نافذتي... سأدعها يدخلان خفية لو أنهما عادا.







قال إنها كانت غرفة جميلة ذات سقف أبيض وسجاجيد حمراء. كان إدغار وايزابيلا يتعاركان على من يحق له اللعب مع الكلب الصغير.

كانا يقهقهان عالياً، وضحتها كانت تخيف عائلة اللينتونز...







أطلقا عليها كلب «بول دوغ»... أمسكَ الكلب بكاحل كاتي...




حَمَلَ الرجل كاتي إلى الداخل... تبعها هيث كليف منذراً بالاَّ يؤذيها أحد.. تجمع حولها الجميع وأخذوا ينعتونها باللصوصيّة...
أمرٌ مرعب!
ولكن يا ماما، إنها الآنسة «إيرن شو»!
أطلق لسانك، أيها اللص الصغير.
إنه مجرّد صبي، لكنه خطر!
الآنسة «ايرن شو» تجوب الضاحية مع غجري - هراء! ولكن هذه هي الحقيقة!
أو هو... ربما هو ذلك الصبي الغريب الذي التقطه جارنا المرحوم في لبڤربول!
؟ هو مهملٌ أخوها! كيف لها أن تجد رفيق صبا كهذا؟
صبيٌّ شرير! وأن يسمع اولادي لغتهُ أمرٌ يهزُّ مشاعري.
وأعطيَ هيث كليف أمراً بمغادرة المكان.. عندما رفض المغادرة بدون كاتي، جرّه الخادم إلى الحديقة، وناوله مصباحاً وأقفل الباب خلفه...


وَقَفَ يُراقب... لو أن كاتي ترغب في مرافقته لكان قام بتحطيم النافذة كلياً...
ولكنهم أخذوا يغسلون قدمها، وقدموا لها الأكل وسرّحوا لها شعرها الجميل... تركها خلفه وهي سعيدة بالقدر الذي ترغب فيه.
إنها الآن أفضل من أي منهم! إنها أفضل من أي إنسان على الأرض، أليس كذلك يا نللي؟
سنسمع أكثر عن هذا الأمر يا هيث كليف انتظر وسترى!
مكثت كاتي في «ثراشكروس غرانج» مدة خمسة أسابيع.. كان كاحلها قد شفي في هذه المدّة، ونفسيتها تحسنت بصورة ملموسة... كانت ليلة عيد الميلاد حين عادت...
ما هذا يا كاتي، إنك الجمال ذاته! وتبدين كأنك أصبحت سيدة الآن!
يجب عليها أن تراعي سلوكها الآن وأن لا تعود إلى طيشها مرة أخرى! يا نيللي. ساعدي الآنسة كاترين في تدبير أمتعتها...

أما «هيث كليف» الذي لم يكن مهتماً بما يحدث قبل زيارة كاترين إلى «غرانج» فقد أصبح الآن أكثر اهتماماً وبدا بشعره غير المسرّح وثيابه الرثة ويديه ووجهه الوسخ مختلفاً جداً عن كاترين الجديدة... رأى أمامه صبية ناعمة جميلة بدلاً من تلك الشرسة الطائشة التي كان يتوقع رؤيتها...







في وقت لاحق وجدته في الإسطبل.



لكن في صبيحة اليوم التالي - يوم عيد الميلاد بينما كان الجميع في الكنيسة أتى إليّ.





الحجت على هيث كليف بأن يدخل ويُظهر سلوكه الجيد... ولكن عند دخوله التقى هندلي على الباب...



كان وقعُ ما حدثَ - من قبل شخص يكرهه مسبقاً - كبيراً جداً على «هيث كليف»... إلتقطَ أقرب شيء منه. كان هذا الشيء طاسة من صلصة التفاح الحار - وقذف بها في وجه «إدغار».





ذات يوم من شهر حزيران (يوليو) ١٧٧٨، وُلد طفلٌ - هو آخر عائلة إيرن شو القديمة - لهندلي وفرانسز.







كنت أنا وجوزيف الخادمين الوحيدين اللذين بقيا.. توقف راعي الكنيسة عن زياراته.. ولم يأتِ أحدٌ إليـنا فيما عدا «إدغار لينتون» الذي حضر ليرى الآنسة «كاتي».



مارستُ عادة تفريغ بندقية السيد عندما أراه عائداً إلى المنزل وهو ثمِلٌ..
على الأقل عندما يبدأ اللعب بها، وتنطلق فإنها لن تؤذي أحداً...
بعد ظهر أحد الأيام فاجأني وأنا أقوم بذلك العمل، أمسك بالصي وأخافه حتى الموت.
هُش.. أيها الصي.. قبلني! أقولُ لك.. قبّلني! والله سأكسر رقبة هذا الصي المزعج!
لا.. لا.. لا.. نللي.. نللي!
اعطني إياه! حب أن لا تؤذيه!
أما «هيرتون» الذي كان يخاف من أبيه.. فكنت أخفيه في الخزانة..
اهدأ أيها الصيّ.. فكل شيء سيكون على ما يُرام.
إنه يكرهك! الجميع يكرهونك! ما هذه الحال التي وصلت إليها!
سأكون أحسن حالاً.. يا نللي.. في الوقت الحاضر اغربي مع الصي عن وجهي!



دخلتُ إلى المطبخ وجلست أهلل للصي كي ينام. دخل هيث كليف وبدأ يمشي نحو مخزن الحنطة لكنه لم يصل إلا لقرب مقعدٍ عالٍ حيث جلسَ بكل هدوء.. طبعاً اعتقدت أنه خرج..
أجلستُ هيرتون على ركبتي.. ودندنت بأغنية.
هل أنت بمفردك يا نللي؟
نعم.. يا آنسة.
نللي، هل تحفظين سرّاً؟ طلب مني إدغار لينتون بأن يتزوجني وقد قبلت! أخبريني بسرعة هل أصبت أم أخطأت؟
كيف يمكنني القول؟ هل تحبينه؟
لماذا تحبينه، يا آنسة كاتي؟
طبعاً أحبه! مَنْ يستطيع مساعدته؟
لأنه أنيق وشاب وبشوش. وسيصبح غنياً، وسأصبح أعظم امرأة في هذه الناحية!
لن يبقى أبداً أنيقاً وشابا. وربما لن يبقى أبداً غنياً أيضاً..


لكن شقيقك سيرحّب بذلك وعائلة اللينتون لن تعارض سوف تنقذين نفسك من منزل كهذا إلى منزل سعيد ثري.
إنك تحبين إدغار وهو يُحبك! أين المشكلة في هذا؟
هنا.. وهنا! في روحي وفي قلبي.. إني متأكدة من أنني أخطأت..
لو كان هندلي لم يُذل هيث كليف لما فكرّت بالزواج من إدغار.. ولكنني لا أستطيع الزواج من هيث كليف الآن. لا يجب أن يعرف كم أنا أحبه.. ليس لأنه جميل وأنيق بل لأنه يعتبر بالنسبة إلي أعزّ من نفسي.
خلال اللفاتة مني وأنا جالسة خلف كاتي شاهدت هيث كليف ينهض من مقعده ويغادر الغرفة. كان قد سمع أن كاتي لا تستطيع الزواج منه ولكنه لم يسمع بقية ما قالته..
أيا تكن المادة التي جُبلتْ منها أرواحنا، فلا شك أن روحي وروح هيث كليف من طينة واحدة. أما إدغار فمختلفٌ عنا كاختلاف الجليد عن النار!
هش. آنسة كاتي! البعض سيسمعك الآن..


هل فكّرت بأنك عندما تصبحين السيدة لينتون، سيخسر هيث كليف كل شيء؟ وكيف ستتحملين ذلك؟
لن نفترق! ما دمت حيّة! سيصبحُ كل لينتون على وجه الأرض هباء منثوراً قبل أن أوقف حبي لهيث كليف!
ليس هذا ما أعني بأنني سأفعله فإذا أنا وهيث كليف تزوجنا فنصبح متسولين.. لكن إذا تزوجت إدغار فباستطاعتي مساعدة هيث كليف وإبعاده عن سلطة أخي
نللي.. أنا هيث كليف بذاته! إنه دائماً عبر مخيلتي.. لا تتحدثي عن افتراقنا مرة أخرى. إنه قطعة مني!
دخل جوزيف وأنهى حديثنا. وتحركت كاتي إلى زاوية مع هيرتون بينما كنت أعِد لعشاء. لكن هيث كليف لم يدخل.
سأنادي هيث كليف! إنه في مخزن الحبوب، إني متأكدة!


ذهبتُ وناديت ولكنني لم أحظَ بجواب.. همست في أذن كاتي بأنه كان قد سمع قسماً كبيراً مما قالته. أخبرتها كيف أنني رأيته يغادر المطبخ.
نهضتْ مبتعدةً بخوفٍ عظيم.
جوزيف، اذهب واعثر على هيث كليف! أريد أن أتحدث إليه! ما الذي قلته يا نللي؟ لقد نسيت.
يُمكن أن يكون مختفيا في عليّة القش. سأعثر عليه بنفسي.
ولكن لم يُعثرْ عليه.. في وقت لاحق ضربت المنزل عاصفة رعدية، لكن كاتي لم تلجْ إلى الداخل.
هيث كليف! اوه.. هيث كليف!
ادخلي يا آنسة كاتي.. المطرُ لا بُدَّ وأن يأتي به
أخيراً دخلَتْ واستلقت على المقعد وهي مبتلة تكاد تعتصر.
تعالي يا آنسة كاتي.. ستموتين من البرد... الساعة الآن الثانية عشرة والنصف! تعالي للنوم!


ذَهَبتُ إلى النوم أنا نفسي.. عند الصباح كانت كاتي ما زالت تجلس قرب المدفأة.
إنها مريضة الآن! لا أريد الانزعاج بوجود مرض آخر هنا!.
عندها حمّي.. على جوزيف أن يسرع بإحضار الطبيب.
حَضَرَ الطبيب كينيث وأخبرنا بأنها مريضة بدرجة خطيرة..
عندها حمّى مرتفعة.. انتبهوا جيداً لإنها قد ترمي بنفسها إلى الطابق الأسفل أو من النافذة.
كانت العناية بها صعبة جداً ولكنها صمدت.. السيدة لينتون العجوز قامت بعدة زيارات لنا.
الآن وبعد أن تحسنت صحتك يا كاترين، عليك أن تأتي إلى « ثراشكروس غرانج » كي تستعيدي قوّتك!
هذا لطفٌ منك يا سيدتي.
لكن السيدة الطيبة أسفت لهذا العمل في وقت لاحق - أصيبت هي نفسها مع زوجها بالحمّى وماتا الواحد بعد الاخر بأيام قلائل..
كان هيث كليف قد ذهب دون عودة.. بعد مضي ثلاث سنوات قادَ ادغار لينتون الذي كان يعتبر نفسه أسعد رجل في العالم، قاد كاتي الى الكنيسة القرية الصغيرة.


بالقدر الذي كنت أكره فيه ترك هيرتون الصغير كان عليّ أن أنتقل إلى «الغرانج» مع الآنسة كاترين التي أصبحت السيدة لينتون.
عليك أن تأتي معي يا نللي! يقول إدغار بأنه سيدفع لك أجراً مدهشاً!
لا أريدك هنا! لا أريد امرأة في هذا المنزل بعد الآن لن يكون هنا مدبّرة. سأدعو راعي الكنيسة لتسلم زمام أمر هيرتون.
إلى اللقاء يا حملي! لا تنس نللي دين.
عند هذه اللحظة من قصتها استرعت الساعة الموجودة على الخزانة انتباه السيدة دين.
شكراً يا سيدي - الساعة الواحدة والنصف! يجب عليّ الذهاب الى النوم حالاً وانت يجب أن تفعل كذلك.
بعد مرور أربعة أسابيع وكنتيجة لخروجي المتتابع وقعت مريضاً.. عندها حضر السيد هيث كليف للزيارة.. ذكرني هذا بالقصة التي سمعت..
هل تشعر بتحسُّن هذا الصباح يا سيدي؟
أحسن بكثير! أخرجي من جيبك عمل الحياكة وأكملي قصة هيث كليف!
هل أنهى تعلمه وعاد كرجل مهذّب؟ أو ذهب إلى اميركا؟ أم أصبح قاطع طرق؟
لم أعرف أبداً كيف حصل على ماله أو كيف تعلّم.. لكن ساطلعُك على ما أعرف.


سارَ كلُ شيء على ما يُرام لمدة ستة أشهر بعد زواج كاتي. بعدئذ وخلال مساء أحد أيام شهر أيلول (سبتمبر) وبينما كنت عائدة من الحديقة...
نللي.. أهذا أنتِ؟
من الآتي؟
قد لا تعرفينني، أنا لست غريباً.
ماذا؟ لقد عُدْتَ! يا هيث كليف!
أين هي؟ هل هي هنا؟ أريد رؤيتها! اذهبي وقولي لها: إن شخصاً من القرية يرغبُ برؤيتها
إذا كنتُ أنا قد فوجئت، فلا شك أنها سَتُصْدَمُ صدمةً شديدة! لكني سأذهب وأخبرها.
وقَفْتُ عند باب البهو غيرُ عازمةٍ على إزعاجها بما لدي من أخبار، وبعدئذ دَخلتُ..
شخصٌ من القرية يرغب في رؤيتك سيدتي.
أقفلي الستائر، يا نللي وأحضري الشاي، سأعود في الحال.


غَادَرَتْ الغرفة
من يكون؟ يا نللي؟
إنسان لا تتوقع السيدة بأن يأتي. هيث كليف يا سيدي - الذي اعتاد أن يعيش في منزل عائلة إيرن شو.
ماذا؟ ذلك المشرّد؟
ستأسف.. يا سيدي بسماعها اياك تناديه بذلك. لقد تحطمّ قلبها عندما تركها.
خلال بضع ثوانٍ هَرَعَتْ كاتي بانفعال شديد إلى الغرفة ومعها هيث كليف.. قادته نحو لينتون وأمسكت بأيديهما وشبكتهما معاً.
آه.. إدغار عزيزي! لقد عاد هيث كليف! ولأجلي يجب عليكما أن تصبحا صديقين.
وعلى ضوء وهج النار ونور الشمعة تكشَّف التغيير الذي حدث بهيث كليف. لقد أصبح رجلاً مكتملاً طويلاً.. ظهر على وجهه كبرُ سِنِّهِ.. ولم يَعُدْ ذلك الصبي الريفي الشرس.
كانت دهشة سيدي عظيمة كدهشتي.. ولبرهة لم يعرف ماذا يقول.. وأخيراً تكلّم..
اجلس يا سيدي.. السيدة لينتون ترغبُ مني في أن أرحب بك.. وإني مسرور برؤيتها سعيدة.
وأنا كذلك، سأبقى ساعة أو ساعتين فقط.


قُدِّمَ الشاي.. ولكن هيث كليف وكاترين شغلا نفسيهما ببعضهما البعض عن تناول الأكل والشراب.
يا كاترين، ما دمنا سنحتسي الشاي البارد تعالي إلى الطاولة معنا.. السيد هيث كليف سيقوم بمشوار طويل إلى مكان نومه هذه الليلة.. ومع كل ذلك فأنا عطشان.
كان لي كلمة أخرى مع هيث كليف لدى مغادرته المنزل.
هل تذهب إلى القرية هذه الليلة يا سيدي؟
لا.. إلى مرتفعات وذرنغ.. دعاني إيرن شو عندما زرته هذا الصباح.
هذه الحقيقة الغريبة كانت قد شرحتها لي السيدة لينتون التي أتت إلى غرفتي لتتحدث خلال منتصف الليل.
يجب أن تنهضي وتبقي بصحبتي! إدغار يشعر بالنعاس.
شاركهم لعبهم، وخسر هيندلي بعض المال أمامه. لذلك قدّم إليه هيث كليف مبلغاً كبيراً من المال لحمله على العيش هناك، وتقبّل هيندلي ذلك!
هل عاد هيث كليف لإثارة المشاكل؟ عندي شعورٌ بأنه كان يجب أن يبقى بعيداً.


كان هيث كليف يذهب غالباً إلى « ثراشكروس غرانج » وسرعان ما أصبح زائراً نظامياً. ولكن ايزابيلا لينتون وليس هيث كليف كانت من آثار المشكلة الجديدة.
أضحت غاضبة من كاترين وقالت إنها تشعر بزكام.
يجب أن تلازمي الفراش وأنا سأدعو الطبيب.
أنا لَستُ مريضة! أنا غير سعيدة لأنك تبعديني كلما يكون هيث كليف هنا! إنك لا تتزوجينه ومع ذلك تريدين منه بأن يَحبكِ وأن لا يحب واحدة أخرى.
أنتِ تحبين هيث كليف؟ لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟
أحبُّه أكثر من حبَك لإدعار - ويمكن أن يكون يُحبني إذا تركتِ له المجال!
أنت لا تعرفين شيئاً عنه. إذ يمكنه أن يسحقك كبيضة السنونو! ويُمكن أن يوافق على الزواج منكِ من أجل مالك!
غادرت كاترين الغرفة وهي منفعلة تماماً... واتجهت ايزابيلا نحوي.
لقد فاهت بكذبة، أليس كذلك؟ روح السيد هيث كليف روح طيبة وصادقة!
لَن يكون زوجاً لكِ! كيف كان يعيش؟ كيف حصل على ثرائه؟لماذا يعش في مرتفعات وذرنغ مع رجل يكرهه؟ لا يفعلون شيئاً غير المقامرة والشراب، وهيندلي كان يستقرض المال على حساب أراضيه!


في اليوم التالي، عندما جاء هيث كليف زائراً، حاولت ايزابيلا بأن تترك الغرفة - ولكن كاترين لم تدعها تفعل.
ادخلي! أريدك أن تشاهدي شخصاً يحبك أكثر مما أفعل أنا! إن ابنة عمي تحطمُ قلبها من أجلك!
كاترين! اتركيني أذهب!
لا، بالحقيقة! لن أسمح بأن يدعوني الناس انانية مرة أخرى! كانت غاضبة يا هيث كليف لأنني لم أدعها تبقى عندما جئت زائراً.
إنك لا بد من أن تكوني مخطئة! إنها ترغب في أن تبقى خارج هذا المحال على أي حال.
أخيراً انسحبت ايزابيلا وهرعت خارجة من الغرفة.
لماذا تُثيرينها هكذا؟ إنكِ لم تتكلمي الحقيقة، أليسَ كذلك؟
لقد قلتُ الحقيقة! لكن لا تنزعج لذلك! إنني أملكُ من الحب لها ما يجعلني لا أسمحُ لك بتدمير حياتها!
إنها وريثة عددٌ كبيرٌ من أولادي أخيها، أليسَ كذلك؟
سيحصلون على ماله قبل أن تستطيع هي فعل شيء، لتغفر ليَ السماء!


عندما عاد هيث كليف للمرة الثانية كانت الآنسة إيزابيلا تطعمُ العصافير خارج المنزل.. شاهدته أنا من خلال نافذة المطبخ.
بعد لحة استطلاع للمنزل، وضع يده على ذراعها وقبّلها.
إنك مخادع! إنك رجل غبر مخلص!
في هذه الفترة كانت كاتي قد حضرت وأصبحت خلفي.
من هذا، يا نللي؟
إنه هيث كليف! انظري إليه!
هربت إيزابيلا.. ودخل هيث كليف إلى المطبخ.
لقد قلت بأنه يجب عليك الابتعاد عن إيزابيلا! لماذا فعلْت هذا.
هل هذا يعنيك؟ لي الحق بتقبيلها إذا هي أرادت!
جرى نقاشٌ حاد بينهما.. وخرجت لأفتش عن السيد لينتون.
نللي، هل شاهدت سيدتك؟
إنها في المطبخ، يا سيدي.. إنها متأثرة جداً مما فعله السيد هيث كليف.
وأخبرته عن الآنسة إيزابيلا وعن النقاش الذي تلا ذلك. تملكه الغضب جدا ودخل إلى المطبخ.


كاتي، إن حملك هذا يبدو كالثور! سيد لينتون، آسف لأنك لا تستحق أن أضربك! وأرميك أرضا.
يا سيدي، إنك غير مرغوب فيكَ هنا! أتسمح بالمغادرة فوراً، وأن لا تعود ابداً إلى هذا المنزل!
فجأةً اندفع سيدي الى الأمام وضرب هيث كليف على حلقه.
شعر هيث كليف بالاختناق، وتركه لينتون ومشى.
انظر! لقد ابتعد الآن. سيعود مع البنادق والخدم ليساعدوه!
وأخيراً غادر هيث كليف المنزل نهائياً، وكاترين طلبت مني أن أصعد إلى غرفة الجلوس.
إني منزعجة للغاية! أخبري إدغار بأني مريضة جداً.. أرجو أن يكون ذلك صحيحاً! أرغب في أن أخيفه.



لحقَ بنا السيد إلى البهو وتكلم. لم يكن غاضباً بل كان حزيناً.
أريـدُ ان أحظـى بجواب! هل ستتخلين عن هيث كليف؟ أم ستتخلـين عني؟ لا يكن الاحتفـــاظ بكلينا معا.
لا تستنطقني! دعني لوحدي! بالكاد أستطيع الوقوف! إدغار، اتركني!
وهرعت خارجة من الغرفة. لحقت بها ولكنها أوصدت الباب في وجهي.
عندما لم تظهر كاترين لتناول طعام الفطور صباح اليوم التالي، ذهبت وطرقت باب غرفتها.
هل ترغبين في إحضار فطورك يا سيدتي؟
لا!. لا أريد شيئاً!
أقفلت كاترين باب غرفتها عليها لمدة ثلاثة أيام، واستسلمت إيزابيلا لحزن عميق، وأقفل السيد لينتون على نفسه مع كتبه التي لم يفتحها أبداً. وعند اليوم الثالث طلبت كاترين الطعام والماء.
أخذت لها الشاي والخبز المحمّص فأكلت بشهية، ثم أغرقت نفسها بين الوسائد.
سوف أموت! سأقهر نفسي إذ لا أحد يهتم بي! ماذا يفعل إدغار؟
السيد بين كتبه.



بين كتبه! بينما أنا أموت؟ كم طال الإقفال عليّ هنا؟
ثلاثة أيام. ولكن السيد لا يخشى أن تموتي من الجوع!
أصبحت تهذي.. خلال لحظة كان تفكيرها يجول في الماضي، وفي لحظة أخرى تثور غاضبة وتبدأ بالصراخ.. أصبحت خائفة بأن أتركها على هذا الحال.
اعتقدتُ بأنني عدتُ إلى سريري القديم مرة أخرى! أريـــد أن أشعر بهبوب الريح من المستنقع! افتحي النافذة على مصراعيها.. نللي..
لا. فإني لن أدعك تصابين بالرشح.
سوف لن تدعيـــي أعود للحياة مرة أخرى.. هذا ما تعنينه.. لا بأس.. سأفتحها بنفسي.
قبل أن أتمكن من إيقافها. عبرت الغرفة وفتحت النافذة.
كانت الريح كالسيف.. الليل كان داماً.. ولكنها قالت إنّها باستطاعتها رؤية أنوار مرتفعات وُدرنغ.
انظري.. تلك غرفتي والشمعة داخلها، والأغصان تلوحُ وتضربها! جوزيف ينتظر عودتنا أنا وهيث كليف كي يقفل المداخل!
ارجعي.. يا آنسة كاتي.


علينا أن نمر وسط المقبرة يا هيث كليف. لقد كنا جريئين بما فيه الكفاية ومررنا عدة مرات معا!
ولكن عندما أموت سوف لن أرقد هناك بنفسي! إنهم ربما يدفنونني على عمق ١٢ قدما، وسوف لا أجد الراحة حتى تكون معي يا هيث كليف. لا أجد الراحة سوف لا أجد الراحة!
بينا كنت أحاول أن ألفها بشيء ما، دَخَلَ السيد...
أوه.. يا سيدي.. سيدتي المسكينة مريضة... لا أستطيع تدبر أمرها.. أرجوك.. تعال!
كاترين مريضة؟ كاترين!. لماذا؟
لقد صُدِمَ بالصورة التي بدت عليها.. أخذها بين ذراعيه.
آه.. لقد أتيت؟ ولكنك لا تستطيع إبعادي عن مكان استراحتي في البرية.. لن أبقى بين عائلة لينتونز.. كما تعرف.. بل في الهواء الطلق. وما عليك إلا أن تذهب إليهم أو تأتي إلي، حسب اختيارك!


هرعتُ لأستدعي الطبيب بنفسي وحَضرَ في الحال، بالرغم أن الساعة كانت الثانية صباحاً.
أعتقد بأنها ستصبحُ أحسَنَ حالاً إذا أبقيتها هادئة تماماً.. من الواجب عدم إثارتها بتاتاً..
قضينا - السيد لينتون وأنا - الليل كلّه بجانب سريرها. لكن صباح اليوم التالي أتى معه بمشاكل جديدة.
أوه.. أيها السيد.. سيدتي الشابة...
تكلمي واخفضي صوتك ماري. ماذا جرى؟
الزمي الهدوء.. هل تفضلين؟
الآنسة إيزابيلا - لقد ذهبت! هرَبَ هيث كليف معها!
ليسَ ذلك صحيحاً! لا يمكن حدوثُ ذلك! نللي.. اذهبي واستطلعي!
هَرَعتُ وفتشتُ غرفة إيزابيلا، ولكنها كانت قد ذهبت.. قرأ السيد ذلك في عيني عندما عُدْتُ..
ألاَ نحاول الإمساك بهما وإعادتها إلينا؟
لا.. فإنه يحقُّ لها بأن تذهب إذا كانت راغبة في ذلك. ومنذ الآن هي فقط أختي بالاسم. أنا لا أنكرها ولكنها أنكرتني..


كما عرفتُ في وقتٍ لاحق من إبزابيلا، أنها قد تحققت من الخطأ الذي قامت به بعد بضعة أيام.. لقد تزوج هيث كلبف منها لسببين: الأول: جعل إدغار يُقاسي ما حصل. والثاني رغبته في وراثة مال عائلة لينتون.
في هذا الوقت كان إدغار يعتني بكاترين عناية جيدة.. ويراقب حالتها ليل نهار.
حياتها لم تعد في خطر يا سيدي وهناك أخبار أخرى طيبة.. زوجتك تنتظر طفلاً!
شكراً لله! إنني رجل سعيد جداً.
في مطلع شهر آذار (مارس) تركت غرفتها للمرة الأولى.
أشعلي النار، وانقلي الكرسي تجاه الشمس! النهوض سيجعلها أحسن حالاً!
وبسرعة بعد هذا.. حضرَ هيث كلبف ليراني...
أرغبُ في رؤية كاترين ويجب أن أفعل ذلك! سأشق طريقي إذا وجب الأمر.. وإني متأكد بأن زيارتي لها بمفردها سوف تخفف من تأثرها!
ناقشت الأمر ورفضته خمسين مرة. وأخيراً وافقت بأن أعلمه متى سيغادر السيد لينتون المنزل في المرة القادمة، ومتى سيكون الخدم الاخرون بعيدين عن المنزل.


بعد مضي أربعة أيام.. وكان يوم أحد.. كانت العائلة والخدم الآخرون قد ذهبوا إلى الكنيسة لكني تركت الأبواب مفتوحة وأنا على علم بمن سيأتي..
أوه.. كاتي! أوه.. يا حياتي! كيف يمكنني تحمُّل ذلك؟
لقد حطمتما حياتي انت وإدغار! وكل منكما يعتقد أنه يشفق عليّ لقد قتلتماني!
لا يا كاتي - لقد قتلت نفسك! لماذا تكرهينني؟ لماذا وقفت ضد قلبك؟ لقد حطمّت قلبك وبهذا حطمت قلبي!
إذا كنتُ قد قمت بخطأ، فها إني أموت بسببه.. لقد تركتني أنتَ أيضاً.. إني أسامحك. سامحني!
أسامحك لما فعلته معي.. ولكن كيفَ أستطيع أن أُسامحك على ما فعلته بنفسك؟
لفترة من الوقت ساد الصمت بينهما، وبينما كان وجهاهما يتقابلان أجهشا بالبكاء.
انتهت مراسم الصلاة! ها هو سيدي آت!
يجبُ أن اذهب.. كاتي.. سأنتظر خارج نافذتك
يجب أن لا تذهب! لا يجب!


هُش، يا عزيزتي هش! سأبقى.. وإذا أقفل على، فسأموت سعيداً.
لا! إدغار سوف لن يؤذينا! سأموت!
بحق السماء، يا سيدي ستدمرنا جميعاً!
دخل إدغار، مكفهر الوجه من الصدمة والغضب. أما كاتي فقد أُغمي عليها وقام هيث كليف بوضعها بين ذراعي إدغار.
ساعدها أولاً.. بعدئذ تستطيع التكلم معي.
بينما كان الصباح يزحف إلى الغرفة، كان إدغار ينتحبُ قرب زوجته الشابة
سي إدغار وسط همومه بأن هيث كليف كان ينتظر... وذلك عند حوالي منتصف الليل إن كاترين التي رأيتها في مرتفعات وذرنغ قد وُلدَتْ يا سيد لوكوود.. بعد ساعتين من هذا الوقت ماتت الأم دون الإستيقاظ من إغمائها
انطلقتُ إلى الخارج.
أعرف لقد ماتت!
نعم.. ماتت بلام وبابتسامة على وجهها.
كاترين.. أرجو أن لا ترقدي بينما أنا أعيش! كوني معي.. - لازمني.. اجعلني معتوهاً - ولكن لا تتركيني!


بعد وقت قصير من انتهاء مراسم دفن كاترين، هربت إيزابيلا من وجه هيث كليف. وذهبت إلى لندن وفي وقت لاحق وضعت ولداً وبقيت هناك لمدة اثنتي عشرة سنة... الوقت الذي مات فيه سيدي العجوز هيندلي إيرن شو.
ذهبتُ إلى المرتفعات لأتحقق من أن عناية كاملة قد أعيرت لمراسم دفن هيندلي.. وجدتُ هناك هيرتون الصغير شرساً وقليل التهذيب.
الآن.. أيها الصبي.. إنك لي! سنرى إذا كان بالإمكان لشجرة ما بان تنمو معوجة كغيرها أمام ذات الريح العاصفة.
لقد مات هيندلي وهو مثقل بالديون وإن هيث كليف هو الآن سيد مرتفعات وذرنغ. هيرتون يعيش الان في منزله الخاص كخادم.
كبرَتْ كاترينَ الطفلة وأصبحت فتاة شابة جميلة.. وحتى بلوغها الثالثة عشرة من العمر لم تكن تغادر « ثراشكروس غرانج » إلا نادراً.
كم سيطول الوقت حتى أستطيع الصعود إلى قمة تلك التلال؟
عندما تكبرين عمراً وجسماً يا آنسة كاني.
عندها وصلت رسالة للسيد.
يجب أن أذهب إلى إيزابيلا المسكينة. إنها على وشك الموت وترغب فى أن نأخذ ولدها لينتون إيرن شو كي يعيش معنا.


سعدت كاتي بوجود ابن عم لها تلعب وإياه.. ولكن الصبي المسكين لم يمكث أكثر من ليلة واحدة في « الغرانج » قبل أن يطلبه والده « هيث كليف »، وقبل إرساله إليه في مرتفعات ودرنغ .. أخذته أنا إلى هناك.
أرجو أن تكون لطيفاً مع الصبي.
سأكون لطيفاً جداً.. سيكون يوماً مالكاً لمكانك! وسأخطط له ولابنة عمه كاتي بأن يتحابا ويتزوجا.
لم تقابل كاتي ابن عمها لينتون إيرن شو مرة ثانية إلا بعد أن أمضت سنتها السادسة عشرة... وسمح لها بالذهاب في رحلة إلى البرية كمعاملة خاصة لها حيث قابلت هيث كليف.. بالرغم من كل التوسلات التي أبديتها، قمنا بزيارة المرتفعات معه.
من هذه؟ فكّر يا لينتون! ألا تتذكر ابنة عمك كاتي؟
ماذا.. لينتون؟ هل هذا لينتون الصغير؟ إنه أطول مني!
كان ذلك على الأقل منذ سنتين يا سيدي، ولكن كل شيء تغيّر. هيث كليف خدع كاتي لتتزوج من لينتون إيرن شو.
مات أبوها المسكين - وأيضاً لينتون إيرن شو بعد ذلك بوقت قصير. وحكمت الوصايا والقوانين بأن يستولي هيث كليف على كل شيء للعائلتين.


أنهت مُدَبِّرة منزلي
قصتها، وقد بدأتُ باستعادة
قواي. لقد صممتُ على مغادرة
هذا المكان وقضاء فترة في
لندن. وعندما ينتهي عقدُ الإيجار،
فإنّ على السيّد هيثكليف أن يبحث
عن مستأجرٍ آخر.
ولكن في شهر أيلول (سبتمبر) بينما كنت أمرُّ على مقربة من هناك قررت أن أمضي الليل في « ثراشكروس غرانج ».
هل السيدة دين في الداخل؟
السيدة دين؟ لا! إنها تسكن هناك على المرتفع!
كانت ترغب في أن تقوم بعمل أفضل ولكن ذلك سيستغرقُ وقتاً.. قررت بأن أمتطي جوادي وأقصد مرتفعات وذرنغ خلال فترة الإنتظار.
أنا السيد لوكوود، المالك. أرغبُ في تناول الطعام والمبيت هنا هذه الليلة.
المالك! كان يجب أن ترسل وتخبرنا بأنك آتٍ! عليّ أن أعدّ...
هناك رائحة زهور في الهواء، والمداخل تبدو غير موصدة! هناك تغيير...



كانت الأبواب والنوافذ مفتوحة. كان بإمكاني مشاهدة شخصين في الداخل.
الكلمة هي "Contrary" هذه هي المرة الثالثة التي أخبرك بذلك أيها الأبله ! تذكر.. وإلا اقتلعت شعرك!
«Contrary» إذن.. والآن قبليني لأنني أتعلم جيداً.
الشخصان كانا كاتي وهيرتون. ولكنهما كانا قد تغيّرا حتى إنني لم أكد أعرفهما.
مشيتُ نحو الباب الخلفي. شاهدت صديقتي العجوز نيللي دين جالسة.
ماذا.. ليباركك الله سيد لوكوود! ماذا.. هل «ثرا شكروس غرانج» مقفلة برمّتها.
لقد رتبت أمور نومي هناك الليلة. سأغادر غداً صباحاً. لماذا أنت هنا!؟
زيلا تركت.. والسيد هيث كليف طلب مني بأن أحضر بعد ذهابك إلى لندن. ربما لم تسمع بموت هيث كليف؟
هيث كليف مات؟ متى؟
منذ ثلاثة أشهر.. ولكن أجلس وسأخبرك عن كل شيء.



كاتي وهيرتون كانا يظهران دوماً وكأنهما أولادي.. وتدريجياً أصبحا صديقين - وبعد ذلك أصبحا تلميذاً وأستاذة.
ومع تعلُّم هيرتون.. ومع تطور طبيعته - أصبح من الصعب علي أن أعتقد بأنه ما زال الشخص نفسه الذي نعرفه!
سيتزوجان بعد وقت قصير. ومن المقرر أن يكون ذلك يوم رأس السنة عندما نعود إلى« ثراشكروس غرانج » وعندئذ لن تكون أية امرأة في انكلترا أسعد مني!
بعد أن أخبرتني نللي عن النهاية السعيدة لهذه القصة الغريبة، عادت إلى وصف موت هيث كليف.
بالنسبة إلى هيث كليف: لم يعد يأكل بعد موت حبيبته
احتفظي به لي يا نللي. سأتناوله في وقت لاحق

ظَهَرَ بأنه منفعل - مسرور - كأنه يرى شخصاً غير موجود.



استدعيت الطبيب، ولكن هيث كليف لم يره... أمطرت السماء بغزارة تلك الليلة. في صباح اليوم التالي قمت بالمسيرة العادية حول المنزل.



كان هناك على فراشه... ظهر بأنه يبتسم.. لم أستطع أن أفكر بأنه مات.



دُفِنَ كما كان يشتهي.. لم يكن حاضراً سوى هيرتون وأنا،وراعي الكنيسة، وستة رجال لحمل التابوت...



كل هذا سمعته من السيدة دين. عند عودتي إلى المنزل مررت بساحة الكنيسة... وسرعان ما وجدت علامات القبور الثلاثة التي أبحثُ عنها.



أسئِلة للاختبَار

١ - سمِّ أبطال القصة ودور كل واحد منهم.
٢ - من هو الذي أخبرنا قصة كاترين وهيث كليف؟
٣ - كيف استقى معلوماته عما حدث؟
٤ - ما هو الحدث الغريب الذي حصل في بداية القصة وكان أساساً لمجريات القصة؟
٥ - كيف دخل هيث كليف في حياة عائلة إيرن شو؟
٦ - كيف عامله السيد إيرن شو؟ - هيندلي؟ كاتي؟
٧ - كيف عرف هيث كليف بقرار كاتي زواجها من إدغار لينتون؟ وماذا كانت ردة فعله؟
٨ - كيف تمكنت إيزابيلا لينتون من الزواج بهيث كليف؟ لماذا تعتقد بأن هيث كليف تزوجها؟
٩ - بعد موت كاتي انتقلت ملكية مرتفعات وذرنغ إلى هيث كليف.. كيف حصل هذا؟
١٠ - لينتون إيرن شو ابن هيث كليف وكاترين لينتون ابنة كاتي تزوجا بعد ذلك.. من كان صاحب فكرة هذا الزواج ؟ ماذا حدث للينتون؟ ماذا حدث لكاترين؟
١١ - كيف مات هيث كليف؟ هل تعتقد بأن لكاتي يداً في ذلك؟

سلسلة أروع القصص المصورة

صدر منها:

- دراكولا
- نداء الطبيعة
- دكتور جايكل ومستر هايد
- الجمال الأسود
- الفنلندي من هاكليبري
- موبي ديك
- شارة الشجاعة الحمراء
- فرانكشتاين
- جزيرة الكنز
- توم سوير
- آلة الزمن
- ٢٠ ألف عقدة تحت البحر
- مغامرات شارلوك هولمز
- رحلات جوليڤر
- أحدب نوتردام
- الرجل الخفي
- رحلة إلى جوف الأرض
- المخطوف
- الجزيرة الغامضة
- الشارة القرمزية
- قصة حياتي
- قصة مدينتين
- الفرسان الثلاثة
- حرب العوالم
- حول العالم في ثمانين يوما
- القادة الشجعان
- يانكي في بلاط الملك أرثر
- كلب باسكرفيل
- البيت ذو السقوف السبعة
- جين اير
- نهاية الموهيكانز
- المختار من / او. هنري
- المختار من / ادجار ألن پو
- سنتان أمام الصاري
- المخلب الأبيض
- مرتفعات ويذرنغ
- بن هور
- أنشودة عيد الميلاد
- طعام الآلهة
- آيفانهو
- الرجل ذو القناع الحديدي
- الأمير والفقير
- سجين زندا
- عودة المواطن
- روبنسون كروزو
- الزهرة القرمزية
- ذنب البحر
- عائلة روبنسون السويسرية

أروع القصص

المسيرة

بيروت